(٢١)

ليل لا عوج له
ويوم لا ريب فيه
رجال هم أيام الله ولياليه
عصور وأزمان يقومها إنسان

حديث الجمعة

٦ شعبان ١٣٨١ هـ - ١٢ يناير ١٩٦٢ م

إن الله جامع الناس إلى يوم لا ريب فيه.

إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فذروا البيع واسعوا إلى ذكر الله.

وما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم.

يومئذ يجيبون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. إن ناشئة الليل أشد وطأ وأقوم قيلا.

إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا.

يوم ندعو كل أناس بإمامهم. إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا.

إن الذين يطيعون الرسول إنما يطيعون الله. وإن الذين يجانبون الرسول إنما يجانبون ذكر الله.

أشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب.

هذه العبارات وما لها من المعاني المحمولة بما وردت به يجمعها معنى واحد، وأمر واحد، نعبر عنه بأيام الله بتمام كلماته ولياليه الله بأوادمه وآياته.

إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون.

تعرج إليه الملائكة والروح في يوم كان مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون.

والعصر إن الإنسان لفي خسر. فالإنسان هو الزمن بظهور مولد ذات له يتحدد بها الزمان وبها يتلون، وبها يعرف شيطانا كان أو رحمانا قام. عام الفيل، أو مولد عيسى، أو هجرة محمد.

إن أيام الله تتلاحق، وإن ليالي الله تتلاحق، وإن أيام وليالي الله تتداخل، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. إن أيام الله تبدأ مع لياليه في الناس، سواء في ظلام خلقتهم، وظلام نشأتهم، وظلام مواصلتهم لحياة الظلام، وبعثهم بحياة الظلام.. فرعون يقدم قومه يوم القيامة. كما أن أيام الله تبدأ بأيام الناس في عالم الظلام بإشراق مشكاة صدورهم بنور سرج قلوبهم مشعلة، يبدأون بها حياة النور في داخلهم، ويواصلون حياة النور بعملهم، ويبعثون في عوالم النور، في تمام نورانيتهم، أرواحا مرشدة لدوائرهم، ثم يعودون للظلام بمجالاتهم لمواصلة تجددهم ورقي ذواتهم ومعارفهم، بجديد لهم يعرفهم رسلا لعوالم بدئهم. أما المردودون إلى الظلام من ظلام قديمهم فيطلبون النور لدخيلتهم، كلما تواجدوا في عوالم بدئهم.

إن النور يغلف الظلام ويلجه، كما أن الظلام يغلف النور ويلجه. لكل نور ما يلد من تواجداته في جلباب من ظلام في عوالم الظلام من عمله وتكوينه، ولكل ظلام ما يلد من عوالم النور بعمله وتكوينه من تواجداته في عوالم النور في جلباب من النور. إن الظلام والنور إنما هما ستر الإنسان المتكنز بحقيقته في جلابيب خلقيته الظاهر من عالم تكنزه وخفائه بحجب عمائه، لا النور سلامه، ولا الظلام قيامه، يدرك الظلام ويدرك النور لا يدركانه. ولكنه إذ يحيي الظلام ويحيي النور، إنما يُحيي خلقه من الظلام وخلقه من النور فيعرف لهما بكونهما. تعالى الحق عن النور وعن الظلام. تعالى الله عما يصفون، سواء بمقدر السر المكنون، أو بالوجه المعنون المعلوم. إن الله لا يظهر بغيره، ولا يظهر لغيره. إن الله يظهر لأهل وحدانيته بوحدانيته. إن الله يظهر لموحديه بتوحيده. إن الله يظهر للناس في الناس في أنفسهم بكنه الحياة، وإنه على ما هو عليه لظاهر، والناس فيه وهو فيهم بما هم عليه، إنما هم ظاهره من تعبيره عنه بصفاته، وبحكمته، وبآياته، وبوجوهه من الظلام والنار والنور، بوجوهه من الإقبال على مركز لهم به، وبوجوهه من الإدبار عن مركز لهم فيه، رحامين كانوا بإقبال أو شياطين كانوا بإدبار إلى باطنهم من النور بظاهرهم من الظلام والنار، أو بظاهرهم من النور والنار عن باطنهم من الظلام. وهم في الحالين إنما يعنونون مظاهر له تكشف عن مخابر منه لمقدره ومُعتبره.

إن قرآن الفجر كان مشهودا. إن قرآن الله لقارئه، إنما هو الوجود بظاهره وباطنه على ما هو عليه. فمن قرأ القرآن، من أَقرأَه الله القرآن، من عَلِمَ القرآن من عَلَّمَه الله القرآن، إنما هو من عَلِمَ نفسه، من أَقرأَه الله كتاب نفسه، من شرح له الله ما في صدره، من عرَّفه الله ما في قالبه من أمر قلبه، من فتح الله

فؤاده للنظر فنظر، وللبصر فبصر، فنفسه أبصر، وعينه أبصر، وعقله أبصر، ما كذب الفؤاد ما رأى، إنجيله في صدره وهو في ربه، فالله لا يُعرف إلا في وحدانيته بفناء عبده، فصَعق نفسه ودك جبل ذاته. أما طلبه للمشاهدة شاهدا يشاهد مشهودا، فإنما هو طلب رحمته، إنما هو طلب من وحده معه وحن لرؤيته في مرآة نفسه من بقاءٍ بِخلّةٍ لرفيق أعلى في عين معناه، إنما هو طلب من عليه جمعه ثم عنه ببقاء فرقه، إنما هو طلب من نحره فوصله ونزلة أخرى بعثه، إنما هو طلب من صلى ونحر، طلب من بُعث فذُكر، طلب من استجاب للأمر فأُمِرَ فأَمَرَ، إنما هو طلب من عنده العلمُ والخبر، إنما هو طلب رسول الغيب للأرض والسماء والمدر إنما هو طلب عبد الله عَرفَ الله فطلب عبدا عرف ربه على عين معناه، وكان في الله عينه بمعناه، ما رآه من رآه إلا وقد وحده في مجلاه، ما عرفه عارف إلا بعد أن فقد نفسه وأناه بردها إلى ربه ومولاه. ما عرفه إلا بعد أن نَحَره فقبره ثم بَعثه فنشره، فكان بالحق خبره، وكان القدم أثره فطلبه ووجده نزلة أخرى، فالله أكبر.

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك. ما رأى وجه ربه إلا من وحد ربه فكان وجهه، فرأى الوجه وجهه، فكان المؤمن مرآة المؤمن، وما رأى المؤمن وجها لله نفسه، إلا بعد أن رأى وجها لله ربه. وما كانت سبيل المؤمن للإيمان إلا أن يصاحب المؤمن المؤمن، ويتفانى المؤمن عن نفسه، مع أخيه ومرائيه، ورائيه، والله من ورائهما بإحاطته، فكان المؤمن مرآة أخيه وما وراء أخيه.

هذه تعاليم جاء بها يوم من أيام الله بدأ معنا من ليله في انتظار فجره، بدأ بمن عرفناه محمدا، ليلة القدر، ولا ينتهي ليل محمد، إلا بعد قيام يوم لمحمد، على ما كان من أمر آدم، قام ليلة لله بأديمه، لم تنته إلا بمستديمه من فجره بتمام كلماته بقديم محمد روح قدسه وكلمة تمت له ليلة قدره بيننا تتجدد، وبكلمات تتعدد حتى يتوفاه، وببعث محمودا يتبناه، وبالحق مشهودا يتوفاه، فيعرف آدم اسم الله، ويعرف إنسانه وجه لله، ويعرف بيته ذكر الله، قلب الوجود وقالبه، وفؤاد الشهود، ووجه السعد لكل مسعود.

إن يوم آدم قد كمل بليلته، فتكنز في يد الله أمسكته يوم دار الزمان على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض بإبراز أديم محمد، تجديدا للسموات والأرض على ما كان في مولد يوم آدمه، خلقت له السموات والأرض بجديد من قديم ليتهيأ لما خلقه الله له من خلقته له لنفسه، خليفته ومعناه، إنسانه وروحه، ووجه ذاته لمبناه، ووجوده في سفوره من كنوز عظمته، ما ظهر في شيء آية له، وآية عليه، مثل ظهوره في إنسان ذاته، وروح أسمائه وصفاته، ومصدر ومحل بروز كلماته، وكتاب علمه، ويد رحمته، وكنوز جوده، والعَلَم على أزلي وأبدي موجوده، وسرمدي وجوده الظاهر ببدئه، في قدسية دمه بآدمه، والمستكمل لمعناه بجديد من معناه، على مثال من قديم لمعناه، أوجده في

ذات وجوده، محدث لقديم على عين معناه، فكان الجديد للقديم في الله، وكان القائم للأحدث المبعوث علما على من بعثه من المعروف باسم الله، في دوام فعل القائم القيوم بناموس وجوده في المطلق اللانهائي.

إن الله في فعله يغاير أفعال الخلق، يوم يفعلون لأنفسهم، ولكن الخلق يوم يفعلون لغيرهم متخلقين بخلقه، فيتشبهون به، ويُعنونون معانيه وفعله في التخلق بأخلاقه. إن الفرد، أو الجمع، أو الفرد والجمع القائم بمعاني الحكم والخدمة لمجموع من الناس على بقعة من الأرض، بما نسميه دولة وأمة، إنما يحاكي الأزلي لأن فعله وإرادته تتمثل فيما يصدر عنه من قوانين ومن تشريعات، وهو ومن معه يمثلون حقائق الوجود من الله وملائكته أو الطاغوت وجنوده. إذا تأمل الإنسان هذا الواقع من أمره، مما يعقل هو بذاته تحت سلطان قوانين اجتماعه، أو سلطان إرادته، أو فقد سلطانه، وتأمل ما في هذا من حكمة الموجد في حفظ النظام في مجتمعه، وقيام الأمان له بقوانين اجتماعه، لعرف كيف يسوس الله ملكه، وكيف يخدم الرب عباده، وكيف يتواجد المستوي على كرسيه في عوالم كراسيه، وكيف يعمل صاحب العرش فيما يقع تحت سلطان عروشه. إن الظاهر من الإنسان مرآة الباطن من أمره من الرحمن أو من الشيطان في وجود الله.

إذا قلنا يوما لله، أو قلنا أيام الله تتعاقب في كتاب الله، وجب أن نأخذه في وعينا على ما نبينه حتى يتفتح الكتاب لعقولكم، وحتى تتفتح العقول لأنوار كتابكم، تأخذونه إن شئتم بأيمانكم، وتغفلونه إن شئتم إلى جانبكم من يساركم. إن أيام الله هي العصور الإنسانية تبدأ بعنوان من رجل أو رسول، يَحمل بلاغا أو حكمة، تقطع رسالته زمانا عبر قرون هي أبعاض يومه. إن أيام الله هي رسالات الله، برسل الله، من عباد الله، بعضهم لبعض أرباب بالله. إن لآدم يوم يستكمل الألف ويزيدها من سنى حسابكم لرسالة فرده والآلاف لأفراد بيته، فلآدم يوم وأيام، تنتهي بمولد جديد له، بوليد منه، يكون سفينة نجاة لآبائه من مادي أصله، وسفينة نجاة لبنيه بجديده من فرعه يمتطيها أو يتخلف عنها الراكبون، وهم يبصرون أو يعمهون الله مع كلماته في قيامهم. وما كانت سفينتهم إلا أنفسهم يمتطونها في بحار معرفته بما يعلمهم. وما كانت سفينتهم إلا بيوتهم يدخلها آباؤهم وأخوتهم وأبناؤهم بإذن منهم.. لا تدخلوا بيوتا غير بيتكم حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا، فليس من حقكم وليس لكم في البيت مكان إن لم تبنوا لأنفسكم فيه مكانا من عملكم. يا أيتها النفس المطمئنة ادخلي في عبادي وادخلي جنتي.. لا دينونة الآن على من دخل في قلب يسوع.

إن نوحا كان جديدا لآدم، وكان ولدا لآدم، وكان يوما من أيام بيت لآدم. وما سمي نوح بنوح إلا لأنه كان حقيقة عصره وقد أظلمت الحياة في زمانه، وضاقت الأرض على أهلها بما رحبت بضيق

نفوسهم، وقد أظلمت فارتفع نواحهم وقد مستهم البأساء والضراء لعلهم يجأرون، فكان عصر نواح جأرت فيها النفوس من شدة ظلامها إلى الغيب مؤمنة به بعيدا عنها وعن حياتها اليومية، فبعث لها يد رحمته نوح، يحملهم في سفين نفسه إلى معارج قدسه، فيخلصهم من أنفسهم وهو أولى بها منهم، فتابعه القليل لمركبه وتخلف الكثير بحكم قانونه، وتوالى بعد نوح.. نوح.. ونوح، وآدم.. وآدم، أظهر الله بهم قضاياه وقلب أمام العيون ألواح كتابه، فأبرز من النبيين من خصه بكلامه، فكلمه، ولم يخصه بقيامه ليعلمه، ثم أظهر عيسى الذي خصه بقيامه في قانون سفوره على دوام، على مثال من قانون سفوره بآدم على تمام، وجعل منه كلامه، فتكلم عيسى إنجيله في صدره، مشروح الصدر، ظاهر الأمر، وجه أبيه، وعين أبيه، ومثال أبيه المتواجد بنفسه وباصطفائه فيمن لا أب له، ولا مثال له، ولا إحاطة به، المعروف بالعلم عنه. فما كان عيسى إلا عبدا لحقه عابدا لعلام الغيوب، عابدا لمن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، المتواجد فيه الكثير من كلماته من مثال آدم وعيسى، وكلهم عباد مكرمون، وما تجدد فيه العباد إلا باصطفائه، وما وقع عليهم اصطفاؤه، إلا بيتمهم عن الأب والأم والنفس من مادة الوجود، من الظلام والنار والنور مما قام به بناء هياكلهم، وظاهر معالمهم، تحجبوا فيها بها عمن يظهرون بينهم بسرابيل الظلام أو النار أو النور بمن يختارونهم لأنفسهم لوصفهم عبادا للرحمن، وعبادا لله يمشون على الأرض أو في السموات في عزة بالله وانكسار له، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، لأنهم ما كانوا ليتحدثوا عن أنفسهم، ولكنهم يتحدثون عمن هو ربهم، وعمن هو إلههم، وعمن هو معبودهم، وعمن هو هواهم، وعمن هو معروفهم، وعمن هو فهمهم وإدراكهم وعلمهم، ورحمتهم، وعمن هم منه كتب وله وجوه، مجانبين الحديث عن أنفسهم وقد جعلوا هواهم أن يتحدثوا إلى الناس عن معناه في الناس ليكون الناس على معناهم منه، فيصبح هواهم ومرادهم وبقاؤهم لمعناه في معناهم.

هؤلاء الرحامين من رحموت حضرته في عظمة وجودهم من عظمة موجدهم بدأوا ويبدأون بآدمهم، ويواصلون بأوادمهم على أرضكم، ومن أرضكم أرضا لآدم، فيبدأون أيامهم كلما بدأوا بآدم لهم فكان في ذلك بدء يوم جديد لله قرين ليلة جديدة من لياليه بهم. إن الله جامع الناس إلى يوم لا ريب فيه، أي إلى إنسان لا ريب فيه، أشرقت الأرض بنور ربها في اليوم ما كان اليوم. إنما الريب عند الناس، وهم لا يؤمنون بالأيام مشهرة لهم في رسلهم من أنفسهم. إن الريب عند الناس إنما هو ما في أنفسهم وهم يرتابون فيمن يظهر الله لهم. أفكلما جاءكم ذكر من الله.. أفكلما جاءكم ذكر محدث.. أفكلما جاءكم بدء ليوم.. أفكلما جاءكم أب.. أفكلما جاءكم آدم استكبرتم بما تهوي أنفسكم على ما جاءكم مما لا تهوى أنفسكم، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون؟ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون. لو أن ملائكة يمشون على الأرض مطمئنين لأرسلنا إليهم ملكا رسولا، وإنا إذ نفعل وكم

فعلنا وها ونحن فاعلين، وقد جعلناهم رجالا، ولبسنا ما يلبسون، وإن موعدهم الصبح، فأمهل الكافرين أمهلهم رويدا. هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، لا بل هل ينظرون إلا أن يأتي ربك، إنهم لا يؤمنون بالملائكة أنفسهم وإن ظهروا في سربالهم بينهم بكل صفات الرحمة، ولا يؤمنون بربك يمشي على الأرض في سرابيل عباد رحمته بينهم، لا يقدرون الله حق قدره، ولا يعلمون أن ربك ليس إلا الرفيق الأعلى لك كما عَلِمت وكما عَلَّمت، ألم تعرف، ألم ترَ، ألم تشهد، ألم تُبلغ أنا نأتي الأرض؟ ألم تعلمهم عن تواضع الله ورحمة ربك؟ ألم تقل لهم رُب أشعث أغبر يمشي على الأرض لو أقسم على الله لأبره؟ ألم تقل لهم أن الصدقة تقع في يد الله؟ ألم تقل لهم إن الأنين اسم من أسماء الله والمريض وجهه؟ ألم تقل لهم إن كل من عليها فان ويبقى عليها منهم من كان وجه ربك، عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما؟ ألم تقل لهم على لساني بك من آذاني وليا فليأذن من الله بحرب؟ ألم تقل لهم إني آخذ من كل أمة بشهيد هو لها رب وآتي بك عليهم شهيدا في قانون دائب، وأن العصر والزمان من حساب عصورهم، وزمانهم بأيامي من عبادي بينهم، لا يخلو من شهدائهم، وإني لأضع فواصل الزمن لأيامي في دهري بشهدائهم عليهم يظهرون برسالاتهم، وأدعو كل أمة بإمامها، هم آحادي يقومون بجديد ذواتهم، تتعاقب بين ظاهر خلقي على أرضي، وباطنهم في سماواتها، وتحت ثراها؟ ألم تقل لهم إني رادك إلى هذه الأرض ورافعك منها، ورادك إليها في نظام من صورة بدء وعود في معاد لا ينقطع في دورة دائمة متصلة، وإني آت بك في دورات أخرى بنظام آخر، دورات متصلة على تباعدها، في عود بمقام محمود يوم آتي بك شهيدا على الشهداء، مبعوثين معك في حضرتك؟ ألم تعلمهم هذا كله فيتعلموا عن أيام الله ويَعَلَمون فيك يوما لله، جامعا لأيام له بلياليها روح قدس جوامع كلماتي لأهل السموات والأرض حيث أقمتك، وحيث أبرزتك، وحيث أظهرتك، وما أرسلتك من كنوز حضراتي إلا رحمة للعالمين؟ ألم تقل لهم إنك بي وجهي، ورب العالمين من متابعيك، ومسلميك، ومؤمنيك، وموقنيك، ومتحديك، وموحدي فيك، وأنهم لك عوالمي؟ ألم آمرك أن تأمر بالصلاة أهلك، وعليك نفسك، ومن دخل بيتك، فهو أهلك وهو منك وأنت منه؟ ألم أقل لك إني لا أسألك رزقا من عباد فأنت عبدي وقد ارتضيتك لنفسي، ولكني أرزقك من فعلي عبادا لك، أؤلف بين قلوبهم حتى يألفوك مولى وربا لهم أؤلف بين صدّيقهم حتى يصدقوك، وأجمع نفوسهم فارقة بين الضلال والهدى في فاروقيهم وفارقيهم طيورا على أشكالها، كما أجمع مجاهديهم أمثالا على أمثالها، حتى يُتابعوك فيكونوا عبادا لك من رزقي لك ورحمتي بهم تصلهم فتمحو باطلهم من قيامهم لحقيك من قيامك، فعن أنفسهم تبعدهم ومن حيوانيتهم تخرجهم، وفيك بي في إنسانك إنساني تبعثهم، فيعلَموك المبعوث فيهم فيعبدوني بك إذ يشهدوهم وجها لك تقوم ونتقلب في الساجدين،

فيشهدوك وجها لي، أنت يومي الجامع لأيام لي وما أيامي إلا عبادي ورسالاتي؟ فما تكون القيامة وما تكون الندامة، وما القيامة إلا في قيامه، وما الساعة إلا إلى ربه وسلامه.

إن القيامة قيامتان، شتان بين قيام الرحمة على أهل الإحسان، وبين قيام أفعال الخلق بردها عليهم، وكشف البهتان يوم ترد إليهم أعمالهم يوم يبرز لهم سوء فعلهم، يوم تأتي آجال الأمم أهلكها الطاغوت من أنفسهم وفعلهم، كما هي ظاهرة آجال الأفراد، جعل الله لكل أمة أجلا، فإذا جاء أجلها لا تستقدم ساعة، ولا تستأخر. قضاؤه في الأمم عين قضائه في أفرادها للحياة والعدم.

إن للأمم قيامات بنشأتها وبعثها، كما لها قيامات بذهاب سلطانها، وذهاب أمرها، وتفريط جمعها، وإذلال أهلها.

هذه هي قيامات الأمم بزوالها أو ببعثها، وكذلك الأفراد في أمر أنفسهم أما من ورائهم برزخ من آبائهم إلى يوم يبعثون من خلالهم، فيتكشف لهم قانون الله وهو يأخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فيشهدهم على أنفسهم، فيشهدون الله بسرمديته، إذ يشهد الأزل لهم الأبد منهم، يوم يشهد الأبناء الأزل من وراء الآباء، ويشهد الآباء الأبد من وراء الأبناء فيلتقي الأزل والأبد في حاضرهم يدا رحمته بحاضر هو من أبناء للقديم، هم آباء وأصل للجديد في حاضر من الإنسان. كان محمد وأمته لنا هذا الحاضر، فيه لقاء للقديم والجديد بين يدي رحمته. كان خير آدم أُخرج للناس وكانت أمته خير أمة أخرجت للناس، لا لصلاح أمرها أو استقامة مسلكها، ولكن بمعاني الوسط لقيامها بين يدي رحمته من قديم الإنسان وجها لله، ومن جديد الإنسان يؤمن بالإنسان في الإنسان للإنسان وجها لله، تدرك وتأمل في الجديد المنتظر القرب إلى أبدي الله، يخرج من الحاضر الغافل لأنها ترى وجه الأبدي مرجوا في الأبناء، وتؤمن بالأزلي مرجوا في حقي الآباء، فأصبحت بذلك أمة وسطا، تؤمن بالله أقرب إليها من حبل الوريد، وتراها بين يدي رحمته على كل نفس قائم.

هذا هو شرف محمد، بدءا لآدم بيوم له، واستكمالا لآدم بليل له، وقياما لآدم بحق له في ليلة خير من ألف شهر ليوم هو الزمان والدهر، ليلة لا ينتهي يومها وقد أشرق على ظلام الأرض فجره بمحمد رسول الله، فكانت الشمس سراجه في يده شعلة الحياة، وكانت الشمس عليه دليله في ظلام الفلاة. كانت الشمس سراجا منيرا هو معناه، وهي وجه ذاته لعالم مبناه، نار الله ونور الله، وأرض الله، به جاء الحق أو جاء وجه الله، وذات وجه الله، وسافر وجه الله، ويد فعل الله، وظل رحمة الله للذين يبايعونه على أنفسهم فهم إنما يبايعون الله، والذين يطيعونه إنما يطيعون الله، والذين يؤمنون به إنما يؤمنون بالله، والذين يعرفونه إنما يعرفون الله، الجنة في جواره، والحضرة في مزاره، وآدم عين جلبابه وإزاره، ونور السموات والأرض ظاهر ذاته بفيض حقي معناه عبدا لله، من شمس وجوده عبدا

للأكبر من شمس معبوده، عنها انشقت شمس موجوده ومشهوده، به يقدر الله، وبه يعرف الله، وبه يتصل العباد بالله، وبه يتوحد العباد مع الله. إنه دورة الزمان والعصر، إنه خلق الأزل والأبد والدهر عبدا لله، به تظهر عظمة الله. القيامة في الاجتماع عليه هو بربه يوما قائما لله لا ينقطع فجره وإشراقه، ورد الأعمال في الغفلة عنه، برد الفعل من العبد إليه بقيامه في ظلام نفسه، يرد إليه عمله وقد كان الله عنده معيته بأمانة الحياة له، فما عرفه، وما عبَّد نفسه له، وما قامه، وما هيأ لنفسه أن يبعث به وجها له فيكونه، فيدخل الحياة، ويخرج من ظلمات العدم إلى النجاة.

إن اللانهائي بوصف الوجود لا غيبة له ولا إحاطة به، ولكنك فيه قائم، سواء قمت في ظلامه من ليله في حجاب له، أو قمت في نهاره من يومه من وجه له. السعيد من أغطش ليله بعتيقه في سماه وقام فجره من يومه في أرض معناه، فأشرق قلبه من شموس عقائده في حضراتها من حضرات ربه، من حضرات إلهه، من حضرات الله معبوده، وموجوده، ومشهوده، ودوام منشوده، في لا نهائي الوجود.

فماذا عرف الناس عن القيامة، وهي قائمة في قيام الله على كل نفس، وتسفر للناس كلما قام في الله إنسان بالله، يقوم به الناس في معراج إلى الله بعروج أنفسهم، يتجددون ويبعثون في أيام الله، في السماء رزقهم وما يوعدون؟

اليوم الواحد لعروج الملائكة والروح خمسون ألف سنة مما تعدون، تعرج فيه الملائكة والروح، لا المادة ولا الأشباح، أما أوادم الخلق في جهادهم في تطورهم بجديد لهم، فاليوم الواحد لهم كألف سنة مما تعدون. إن يوم القيامة عند اللانهائي يوم يتجاوز الخمسين ألف سنة مما تعدون أضعافا مضاعفة. إن يوم القيامة عنده قائم دائم لأنه يوم الله الذي لا غياب له، ولا بدء له، ولا انتهاء له. وإن ليلة القيامة، وإن ليل القيام وهو الإنسان في عمائه قائم دائم كذلك لا غيبة له. الليل مولوج في النهار والنهار مولوج في الليل في صورة ثابتة صامدة في الأحد الصمد من الله الذي لا جديد فيه، ولا جديد في معاني الحق له.

هذا ما جاءكم به القرآن، وما جاءكم به محمد رسول الله، وما بينه لكم في حديثه يوم قال لكل منكم قيامة، ولكل منكم ساعة، ولكل منكم أجل، كما قال عذاب أمتي في قبورهم، والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وإن الله باعثكم وهو إذ يبعثكم على ما بدأكم انظروا كيف بدأكم، ألم يخرجكم من ماء مهين؟ أليس هو على رجعه لقادر؟ إنه يوم يرجعكم إلى هذه الحياة تارة أخرى فإنه يعيدكم إليها على ما بدأكم فيها من عين الماء المهين ومن علقة تتكون في آباء لكم من طعامهم من تراب الأرض، على ما أنشأكم من الماء المهين في حاضركم في أصلاب آبائكم، فالأرض أصل

وجودكم في هذا التواجد تدبون عليها بحيوانيتكم نباتا لها، وهو إذ يبعثكم عليها إنما يبعثكم في هذا النظام مما تشهدون ومما تعرفون ولا تنكرون.

ضرب لنا مثلا ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم؟ قل يحيها الذي أنشأها أول مرة، كما بدأ أول خلق يعيده، وإنه على رجعه لقادر، وعلى تسوية بنانه من قديمه بجديده لفاعل، أنى يُحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه. يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها. إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز. إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد. ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد. كتاب أنزلناه عليك لتتلوه في الناس على مكث، فلن نتوقف عن تلاوته بتكاثرك من كوثرك أبدا. وإني إذ آخذ من كل أمة بشهيد ربما أبعثك مقاما محمودا إذا أعدتك معهم شهيدا على شهداء من جديد خلقي بقديم خلقك. أعطيتك الكوثر وجعلت شانئك الأبتر.

أُنظر كيف أخذت ميثاق النبيين لك، وإني باعث النبيين في بشريتي من أمتك مرة أخرى، وسأجيئ بك شهيد عليهم مرة وأخرى، هكذا أنا أفعل، وهكذا أنا فعلت، وسيبقى فعلي دائما أبدا على ما عرفت لأن فعلي يأخذ معاني صفتي من دوامي وثباتي وصمديتي.

هذا جاءكم به الإسلام. قال الله عن يحيى السلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا، وقال عيسى السلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا، وإني إذ أُبعث حيا أبعث على ما بدأ فيَّ، فأولد في سلام، وأغيب عنكم أو أموت مرة وأخرى في سلام، وأبعث ثالثة وأخرى في سلام. هكذا آتي وأعود في دورة دائمة دائبة. ضرب ابن مريم مثلا لأئمتهم ولهم ولدورتهم فإذا قومك عنه يصدون، وإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم. وما كان محمد بدعا عنهما إذ كان أول العابدين للمعبود المطلق رآهما بعينهما له وجهان لله عرفه من ورائهما في إحاطته.

وإن محمدا كدورة لآدم تبرز كلمات الله منه، ثم يعيده الله إلى الأرض مرة أخرى بنشأة منها نشأة وأخرى وهكذا دواليك، وإن محمدا كدورة لكلمة الله التامة عنها يصدر آدم، به يتعارف رفيق الأرض لرفيق السماء، به يعرف من يرافق الناس في الأرض باسم الإنسان عبدا لله، رفيق السماء ممن يرافق الناس في السماء عبدا لله، ثم رفيقا أعلى فرفيقا أعلى لهما. إن الملأ الأعلى يطلبون الرفيق الأعلى، كما أن الملأ الأدنى يطلبون رفيقا أدنى وأعلى، كما ينتظرون الرفيق الأبرز والأعلى مبعوثا فيهم بالأدنى. هذا هو نظام الله في بشرية من الروح والناس، في جانبي الحياة دانيها وقاصيها، ظاهرها وباطنها، أولاها وأخراها، في الأرض أو في السماء.

فهل أدرك الناس كل هذه الحقائق وكل هذه المعاني؟ وهل لمس نور القرآن قلوبهم؟ هل أدركوا أن القرآن كائن حي وإنسان قائم ماثل فيهم وبينهم بعترة الرسول منهم من بينهم لا يفترقون عن الكتاب، ولا يفترق الكتاب عنهم، ولا يغيبون عن التواجد ولا يسكت الكتاب منهم؟

هذا جاءكم به الدين، وجاءتكم به سنة الرسول، وجاءكم به البلاغ، لا يمسه إلا المطهرون. ونسأل الله أن يجعلنا جميعا ممن تطهرت قلوبهم فلمسها نور كتاب الله، مدركا محسوسا فأبصروا كتاب الله يمشي في عترته بين الناس. رحمنا الله بهم وإياكم، وجعل رحمتنا في جوار رسول الله، ظاهرا بإنسان عبوديته لإنسان معنانا ومعناكم. نسأل الله أن يجعل مآلنا إلى الرفيق الأعلى في رحاب وجوار رحمته، ووجه طلعته، ويد نجدته، وشرف عبوديته، وبيان رسالته، من عرفناه محمدا، ومن ذكرناه نبيئا وأنكرناه حقا، ومن وصفناه خلقا وجهلناه عبدا، ومن قدرناه نورا وحوضا ما وردناه، ومن نظرناه كتابا ما قرأناه ورقا منشورا يبعث في قلوب المؤمنين من عباد الله ما بعثناه وما طلبناه.

اللهم اغفر لنا ما تقدم وما تأخر من ذنوبنا، اللهم هيئ لنا سبيل الرشاد في حاضرنا، اللهم أوصلنا بمن وصلت، وحققنا بمن حققت، وأقمنا بمن أقمت، وابعثنا بمن بعثت، وارحمنا بمن رحمت، وعلمنا بمن علمت، لا إله غيرك في ظاهر وجود، ولا إله غيرك في غيب وجود، ولا إله غيرك فيما نعلم من وجود، ولا إله إلا أنت فيما نجهل من وجود. اللهم إنا وحدناك ورجعنا إليك موحدين، وحدناك إذ نشهدك في أنفسنا بظلامها مختبرا، وإذ نشهدك في أنفسنا بنورها راحما معلما. اللهم إنا نشهدك في قلوبنا تنبض بالحياة، ونشهدك في عقولنا تبحث عن المعرفة، ونشهدك في وجودنا مدركا بالظهور، ونشهدك في بواطننا من الضمير يتحرك للنجوى بالرحمة وبالعظمة وبالخفاء.

اللهم إنا نشهد أن لا إله إلا الله فاكشف عنا حجابنا، وأدخلنا في يقين لا إله إلا الله، حتى نسعد بشهودنا محمدا عبدا لله مبعوثا في عبوديتنا، مشهودا بحقيقته لحقيقتنا.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وارفع مقتك وغضبك عنا بما صنعنا، وعاملنا بعفوك ورحمتك. إنا نتوسل إليك بمن أرسلته لنا رحمة، وقد أمرتنا إليك بالوسيلة.

اللهم بجاهه لديك فاكشف عنا هذه الغمة، وارزق الأرض السلام والأمن، وارفع عنا ما نعلم وما نجهل من قضائك، ولا تمتنا بعملنا، وعاملنا برحمتك رحمة منه، وببركته بركة منك، وبقيامه قياما لك، وسلم له برحمتك أمورنا في حضرة رحمته تسليما، اجعله رحمة منك لن. اللهم إنا نجأر إليك أن ترزقنا السكينة والسلم والسلام في أنفسنا وفي بلادنا، وفي أرضنا، وفي أمتنا، وفي إنسانيتنا، وفي جمعنا، وفي أنفسنا، وفي أهلينا، وفي أولادنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك، اللهم فأخرجنا مما نحن فيه من الظلام إلى ما جعلت لنا مما أولجت في عالمنا وفي أنفسنا من النور، اللهم أشرق منا بنورك نورا للوجود، نورا لعبدك ورسول رحمتك. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(لماذا عادت الأرواح؟)

(سئلت مثل كثيرين غيري إذا كنت أرغب في العودة إلى نطاق المادة لأحاول إنقاذ الذين يحاولون في دنياكم أن يحطموا أنفسهم والعالم الذي يعيشون فيه. وحاولنا العمل فيما بينكم، وما زلنا نحاول باحثين بمعاييركم الخاصة لنبرهن على أن الذين يتركون عالمكم ما زالوا يعيشون في الملكوت الأكمل للروح الأعظم، لعلكم تدركون أنكم مثل هؤلاء جزء من الروح الأعظم.

لن تتقدموا في عالمكم أو عالمنا قبل أن تتعلموا كيف تقذفون بالحكمة الجوفاء التي توارثتموها عمن تسمونهم بالعقلاء وترجعوا إلى براءة الطفل وهي طبيعتكم ووضعكم من الروح الأعظم).

عن السيد الروح المرشد والمخلص المقارب (سلفربرش)